

## الإيقاع الرابع

الآن انتهينا من ٣ دوائر عروضية شملت ٧ بحور سميت بالبحور الصافية لأنها تتكون من تكرار تفعيلة واحدة لعدد من المرات، وذلك رغم أننا رأينا مثلا بحرا مثل الوافر يضم في صورته المتحققة في الشعر العربي تفاعلتين وهما (مفاعلتن وفعلون)، ولكننا أشرنا -طبعاً- إلى أن (فعلون) هذه هي في الأصل، وفقا لنظرية الخليل ودوائره العروضية، (مفاعلتن).. الآن جاء موعدنا مع البحور التي سميت بالبحور المركبة.. عموما لا تشغل بالك كثيرا بهذه المسميات، فالآلية التي سنستخدمها واحدة ولن تتغير.

اسحب طاولتك يا صديقي.. سنعزف إيقاعا جديدا.. ربما يكون طويلا بعض الشيء، ولكننا سنفعلها.. الآن دق على الطاولة دقة واحدة (دُم)، ثم مثلها (دُم)، ثم دقتين سريعتين (دُدُم)، وبعدهما دقة جديدة (دُم)، ثم سنختم إيقاعنا بدقتين (دُدُم).. هكذا سيكون الإيقاع..

دُم دُم دُدُم دُم دُدُم/دُم دُم دُدُم/دُم دُم دُدُم دُم دُدُم  
 /o//o/o/ o//o/o//o/o/ o//o/o//o/o/ o//o/o//o/o/  
 o//o

بالطبع لن نستطيع أن نجمع كل هذه الأصوات في تفعيلة واحدة، وهذا ما أدركه الخليل، فضم هذا الإيقاع في تفاعلتين، وهما (مستفعلن فاعلن)، ومن هنا جاءت تسمية هذا الإيقاع وصوره الأخرى في هذه الدائرة بالبحور المركبة<sup>٢٣</sup>.

الآن.. ماذا لو تركتك كالعادة، واستمرت أنت في الدق على طاولتك، ثم عدت كالعادة، وجاءت العودة متزامنة بعد أن دقت أول دقتين (دُم دُم).. سأسمع أنا الآتي:

٢٣ هذا الأمر سيكون له نصيب كبير من النقاش عند الحديث عن الموسيقى ونظيرتها للوحدات الإيقاعية.



بقي الآن أن أقول لك إن الإيقاع الأول (٥//٥/ ٥//٥/٥/) مستفعلن فاعلن) هو الوحدة الإيقاعية المكونة لبحر البسيط، حيث تتكرر في البيت الواحد ٤ مرات بواقع مرتين في كل شطر. أما الإيقاع الثاني (٥/٥// ٥/٥//٥) فعولن مفاعيلن)، فتكراره ٤ مرات أيضا يصنع بحر الطويل. وأخيرا يكون تكرار الإيقاع (٥//٥/ ٥/٥//٥/) ٤ مرات ما سمي ببحر المديد. لا تنسَ ذلك يا صديقي العزيز.. لدينا هنا في هذه الدائرة (المختلف) ٣ بحور هي البسيط والطويل والمديد.

## أولاً: بحر البسيط:

عرفت أن بحر البسيط يتكون من تكرار (مستفعلن فاعلن) ٤ مرات، بواقع مرتين في كل شطر.. ولكي لا ننسى هذا الإيقاع الراقص البديع اسحب طاولتك من جديد ودق عليها (دُمُّ دُمُّ دُمُّ دُمُّ) مرتين، ثم أتبعهما بسكتة طويلة نسبياً، وأعد ذلك مرة أخرى.. هكذا يكون البيت على بحر البسيط.. كرر ذلك كثيراً حتى تشعر بأن الإيقاع قد ترسخ في ذهنك وقبله قلبك.

والآن سأعود معك للعبة تركناها منذ فترة.. ربما تبدو صعبة هنا، ولكنك ستفعلها بالتأكيد.. هل تستطيع أن تخمن أماكن الزحافات؟ أسمعك تقول إن لدينا سببين خفيفين، ثم وتدا مجموعاً، وسبباً خفيفاً آخر، وأخيراً لدينا وتد مجموع آخر.. وهكذا ستكون الزحافات قطعاً في الأسباب، بحيث يمكننا حذف الساكن في كل منها».. أحسنت يا صديقي.. بالفعل يمكن أن نحذف الثاني الساكن في (مستفعلن / 0 / 0 / 0) فتتحول إلى (متفعلن / 0 / 0)، وهذا هو زحاف الخبن، وقد عرفناه قبل ذلك، كما يمكن أن نحذف الرابع الساكن في (مستفعلن / 0 / 0 / 0) فتتحول إلى (مستعلن / 0 / 0)، وهذا هو زحاف الطي، ودرسناه سابقاً أيضاً.. وأخيراً قد يصيب زحاف الخبن أيضاً تفعيلة (فاعلن / 0 / 0)، فتتحول إلى (فعلن / 0 / 0)، حيث يسقط الثاني الساكن منها. ما رأيك الآن؟ قلت لك ستفعلها، وها أنت قد فعلتها.

اذهب الآن إلى لعبة الملاحظات.. فلننظر إلى هذا البيت:

ريِّم على القاع بين البان والعلم

أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

الكتابة العروضية:

ريمن علد/ قاع بي/ن لبان ول/ علمي

0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/

أحلل سفك دمي / فلأشهر ل/ حرمي

o/// o//o/o/ o/// o//o//

ما ملاحظاتك يا صديقي؟ نعم أحسنت.. تفعيلة العروض هنا مصابة بزحاف الخبن، فقد حذف منها الثاني الساكن فتحولت فاعلن إلى فعلن، وقد حدث الأمر ذاته في التفعيلة الثانية في الشطر الثاني، وكذلك في تفعيلة الضرب. كما أصاب الزحاف ذاته (الخبين) التفعيلة الأولى في الشطر الثاني، فتحولت مستفعلن إلى متفعلن.

ولنذهب إلى بيت آخر..

بنات سعاد فقلبي اليوم متبول متيمٌ إثرها لم يفد مكبول

الكتابة العروضية:

بانث سعاد ففقد/ب ليوم مت/ بولو

o/o/ o//o/o/ o/// o//o/o/

متييمن / إثرها / لم يفد مك/ بولو

o/o/ o//o/o/ o//o/ o//o//

ملاحظاتك دوما جاهزة يا صديقي.. نعم الملاحظة الأولى هي أن هناك زحاف الخبن في التفعيلة الثانية فتحولت فاعلن إلى فعلن، وكذلك في التفعيلة الأولى في الشطر الثاني فتحولت مستفعلن إلى متفعلن. وأسمعك تقول إن الملاحظة الثانية هي أن تفعليتي العروض والضرب قد حذف منها الساكن الأخير، وأسكن ما قبله.. نعم يا صديقي.. هذه علة القطع.. تتذكرها بالطبع..

وانظر معي البيت التالي:

ماذا وقوفي على رسم خلا مخلولقن دارس مستعجم

الكتابة العروضية:

ماذا وقو/ في على/ رسمن خلا مخلولقن/ دارسن/ مستعجمي  
o//o/o/ o//o/ o//o/o/ o//o/o/ o//o/ o//o/o/

أسمعك تقول متحمسا: «هذه واضحة جدا.. إنها ملاحظة واحدة، وهي أن البحر جاء هنا على صورته المجزوءة، فقد سقطت هنا تفعيلة من كل شطر». وكالعادة سأهتف لك قائلا: أنت صديق ممتاز.

ولنختم حديثنا عن بحر البسيط بهذا البيت:

أصبحت وش/شيب قد/ علاني أدعو حثيثا إلى الخضاب

الكتابة العروضية:

أصبحت وش/شيب قد/ علاني أدعو حثيثا/ ثن إل /خضابي  
o/o// o//o/ o//o/o/ o/o// o//o/ o//o/o/

من جديد ستقول إن الملاحظة الأولى هي أن البيت جاء على الصورة المجزوءة.. أما الملاحظة الثانية أن تغييرا كبيرا أصاب تفعيلتي العروض والضرب.. نعم يا صديقي.. هذا تغيير كبير حقا.. تابع معي بهدوء لتتعرف على ما حدث لهاتين التفعيلتين.. لقد حدث لهما زحاف الخبن، فتحولت (o//o/o/) إلى (o//o//)، ثم حدثت علة القطع، فحذف الساكن الأخير، وأسكن ما قبله، فتحولت إلى (o/o// متفعل) كما رأينا.. إذن هنا اجتمع زحاف الخبن مع علة القطع، وهنا يكون الزحاف ملزما.. اعلم الآن يا صديقي أن هذه صورة خاصة جدا من بحر البسيط تسمى (مخلع البسيط)، فلا تنس ذلك.

الآن نستطيع أن نقول إننا قد انتهينا من بحر البسيط.. وجاء موعدنا المعتاد مع عدد من ألباننا.

## اللعبة الأولى:

أكمل ما يلي وفقاً لما فهمت:

- دائرة المختلف تضم ثلاثة بحور مختلفة، وهي.....، و.....، و.....
- بحر البسيط يتكون من تكرار.....
- من العلل التي تصيب بحر البسيط علة.....، فتحول فاعلن إلى.....
- مخلع البسيط صورة من صور بحر البسيط، وتكون كالأتي:.....

## اللعبة الثانية:

اختر الكلمة المناسبة إيقاعياً لتكمل بها البيت:

نورٌ تنقلُ في ..... ساطعه تنقلُ البدر من صلبٍ إلى رحمٍ  
- الأرض - الكون - الأكوان - العوالم

## اللعبة الثالثة:

رتب الكلمات التالية لتصنع منها بيتاً على بحر البسيط:

عقم / الله / أستغفر / لذي / بلا عمل / لقد نسبت / من قول / به نسلا

### اللعبة الرابعة:

البيت التالي على بحر البسيط، ولكني سأتعهد الآن أن أخطئ في كتابته..  
حاول أن تصل إلى موضع الخطأ..

نبينا الأمر الناهي فلا أحد أبرّ في قوله لا منه ولا نعم

### اللعبة الخامسة:

احفظ الأبيات التالية، وحاول أن تغنيها مع إيقاع بحر البسيط الذي ستعزفه  
على طاولتك..

يقول شوقي في نهج البردة:



ريم على القاع بين البان والعلم  
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم  
رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا  
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم  
لما رنا حدثتني النفس قاتلة  
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

جحدتها وكنمت السهم في كبدي  
جرح الأحبة عندي غير ذي ألم  
رزقت أسمح ما في الناس من خلق  
إذا رزقت التماس العذر في الشيم  
يا لائمي في هواه والهوى قدر  
لو شفق الوجد لم تعذل ولم تلم<sup>٢٥</sup>

وأيضاً: (من بردة البوصيري)  
مولاي صل وسلم دائماً أبداً  
على حببيك خير الخلق كلهم  
محمد سيد الكونين والثقلين  
من والفريقين من عرب ومن عجم<sup>٢٦</sup>

وأيضاً:  
ولي فؤاد إذا طال العذاب به  
هام اشتياًقاً إلى لقياء معذبه  
يفديك بالنفس صب لو يكون له  
أعز من نفسه شيء فذاك به<sup>٢٧</sup>

---

٢٥ هذه القصيدة تغنيها أم كلثوم.. يمكن أن تستمع إليها لتساعدك على الحفظ.

٢٦ يغني البيتين كثير من المنشدين .

٢٧ البيتان للوأواء الدمشقي تغنيهما السيدة فيروز.

## ثانيا: بحر الطويل:

عرفت منذ قليل أن بحر الطويل يتكون من تكرار (فعلون مفاعيلن) ٤ مرات في البيت، بواقع مرتين في كل شطر.. ولكن ماذا ستفعل الآن؟ نعم.. ستسحب الطاولة أمامك وتدق الإيقاع (دُؤمُ دُؤمُ دُؤمُ دُؤمُ) .. كررها مرة أخرى، ثم اسكت سكتة طويلة نسبية، وكرر ذلك مرة أخرى.. أنت الآن عبرت عن إيقاع البيت.. كرر ذلك مرارا وتكرارا حتى يستقر الإيقاع بوجدانك.

ما رأيك الآن في أن نذهب للعبة التخمين؟ ما الزحافات التي تتوقع أن تكون موجودة في بحر الوافر؟ ستقول لي: «لدينا وتد مجموع في البداية، ثم سبب خفيف، وهنا يمكن أن يحدث زحاف بحذف الخامس الساكن من (فعلون) فتتحول إلى (فعلٌ)، وهذا زحاف القبض وقد درسناه قبل ذلك.. والزحاف نفسه قد يصيب (مفاعيلن) فتتحول إلى (مفاعلن).. هذا بالإضافة إلى أن تفعيلة (مفاعيلن) فيها سبب خفيف آخر قد يصاب بزحاف أيضا، فنحذف السابع الساكن، فتتحول التفعيلة إلى (مفاعيلٌ)، وهذا زحاف يسمى الكف، ودرسناه أيضا قبل ذلك».. هنا فقط سأهمل مجددا وأقول إنك مذهل في تخمينك.. لقد أصبت يا صديقي.

وجاء دور لعبة الملاحظات.. دقق نظرك إلى البيت التالي:

ققا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

الكتابة العروضية:

ققا نبك من ذكرى / حبيبين / ومنزلي

٥//٥// ٥/٥// ٥/٥/٥// ٥/٥//

بسقط ل/لوى بين د/دخول / فحوملي

o//o// /o// o/o/o// o/o//

لاحظت بالتأكيد أن التفعيلة الثالثة في الشطر الثاني قد أصيبت بزحاف القبض، فحذف الخامس الساكن منها، فتحولت فعولن إلى فعول. كما لاحظت مؤكداً أن الزحاف ذاته أصاب تفاعليتي العروض والضرب، وحولهما إلى مفاعيلن. والآن لننظر إلى البيت التالي:

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من قد هويت أطيرو  
الكتابة العروضية:

أسرب ل/قطا هل من/ يعير/ جناهو  
o//o// /o// o/o/o// o/o//  
لعللي/ إلى من قد/ هويت/ أطيرو  
o/o// /o// o/o/o// o/o//

قل لي ملاحظتك الأولى يا صديقي.. ستجد بالتأكيد أن التفعيلة الثالثة في كل شطر قد أصيبت بزحاف القبض، كما أصيبت تفعيلة العروض بالزحاف ذاته.. أما الملاحظة الثانية، فهي أن تفعيلة الضرب فقد حذف منها سبب خفيف، وهذه علة الحذف كما عرفت من قبل.

الآن يا صديقي انتهينا من بحر الطويل، ولنتقل إلى ألعابنا المعتادة.  
اللعبة الأولى:

أكمل ما يلي وفقاً لما فهمت:

- بحر الطويل يتكون من تكرار.....
- من العلل التي تصيب بحر الطويل علة.....، فتحول مفاعيلن إلى.....
- زحاف القبض يصيب تفعيلة فعولن فيحولها إلى..... ويصيب مفاعيلن.....

فتسحول إلى.....

### اللعبة الثانية:

اختر الكلمة المناسبة إيقاعياً لتكمل بها البيت:

فَفاصَّتْ دُموعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى ..... حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي

- الرقبة - النحر - رقبتى - مكان الذبح

### اللعبة الثالثة:

رتب الكلمات التالية لتصنع منها بيتاً على بحر الطويل:

راهب / الظلام / متبتل / كأنها / تُضيء / منارة / ممسى / بالعشاء

### اللعبة الرابعة:

البيت التالي على بحر الطويل، ولكني سأتعهد الآن أن أخطئ في كتابته..  
حاول أن تصل إلى موضع الخطأ..

وليل كموج البحر أرخى سدولهً عليَّ بأنواع الأحزان ليبتلي

### اللعبة الخامسة:

احفظ الأبيات التالية، وحاول أن تغنيها مع إيقاع بحر الطويل الذي ستعزفه  
على طاولتك..

يقول إبراهيم ناجي:



أجل إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا  
فمصر هي المحراب والجنة الكبرى  
فهلا وقفتم دونها تمنحونها  
أكفأ كماء المزن تمطرها خيرا  
تعالوا فقد حانت أمورٌ عظيمةٌ  
فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا  
شبابٌ نزلنا حومةً المجدِ كلنا  
ومن يغتدي للنصر ينتزغُ النصرا  
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ  
على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا<sup>٢٨</sup>  
وأيضاً:  
أقول وقد ناحت بقربي حمامة  
أيا جارتا لو تشعرين بحالي  
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى  
ولا خطرت منك الهموم ببال  
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا  
تعالى أقاسمك الهموم تعالي  
أيضحك مأسور.. وتبكي طليقة..  
ويسكت محزون.. ويندب سالي  
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة..  
ولكن دمعي في الحوادث غال<sup>٢٩</sup>

٢٨ هذه القصيدة تغنيها أم كلثوم.. يمكن أن تستمع إليها لتساعدك على الحفظ.

٢٩ الأبيات لأبي فراس الحمداني.. يغنيها العراقي ناظم الغزالي .



ماذا عن الملاحظة الثانية يا صديقي؟ نعم.. لقد أصاب زحاف الخبن التفعيلة الأولى في الشطر الأول، فتحولت إلى فعلاتن (O/O///) ، كما أصاب الزحاف ذاته التفعيلة الثانية فتحولت إلى فعلن (O///).

انظر الآن هذا البيت:

فالهوى لي قدر غالبٌ كيف أعصى القدر الغالبا

الكتابة العروضية:

فلهوى لي / قدرن/ غالبن / كيف أعص / ل/ قدر / ل/ غالبا

O//O/ O/// O/O//O/ O//O/ O/// O/O//O/

أسمعك تقول إن الملاحظة الأولى هي وجود زحاف الخبن في التفعيلة الثانية في كل بيت.. أما الملاحظة الثانية فهي أن تفعيلتي العروض والضرب قد أصيبتا بـ علة الحذف، فقد سقط السبب الخفيف من نهاية التفعيلة.

وانظر هذا البيت يا صديقي:

لا يغرن امرأ عيشه كل عيشٍ صائر للزوال

الكتابة العروضية:

لا يغردن/ مرأن/ عيشهو كلل عيشن/ صائرن/ لزوال

O//O/ O//O/ O/O//O/ O//O/ O//O/ O/O//O/

لاحظت بالتأكيد أن تفعيلة العروض أصيبت بـ علة الحذف، وأن تفعيلة الضرب قد أصيبت بـ علة هي الأخرى، وهي حذف ساكن من نهاية التفعيلة المنتهية بسبب خفيف، وإسكان ما قبله.. ألا تذكر هذه العلة؟ إنها علة القصر.

وانظر البيت التالي أيضا:

كل شخص لست تعرفه ككتاب لست قاريه

الكتابة العروضية:

كلل شخصن / لست تعرفهو / ككتابن / لست قا / ريهي

o/o/ o//o/ o/o/// o/// o//o/ o/o//o/

ما ملاحظاتك هنا يا صديقي؟ ستقول بكل تأكيد إن الملاحظة الأولى إن تفعيله العروض قد أصيبت بزحاف الخبن، وعله الحذف فتحوّلت إلى فعلن (o///)، أما الملاحظة الثانية فهي أن التفعيله الأولى في الشطر الثاني قد أصيبت كذلك بزحاف الخبن.. وأخيرا تأتي الملاحظة الثالثة.. لقد لاحظت بكل تأكيد أن تفعيله (فاعلاتن /o//o/) قد اصبحت (o/o/).. نعم.. لقد حذف السبب الخفيف من نهاية التفعيله، ثم حذف ساكن آخر، وأسكن ما قبله.. هذه علة تسمه علة البتر.

وليكن هذا بيتنا الأخير:

أمريض لم تعد أم عدو ختلك

الكتابة العروضية:

أمريضن / لم تعد أم عدوون / ختلك

o/// o/o//o/ o//o/ o/o///

الأمر لا يحتاج نظرة طويلة.. أنت لاحظت بالتأكيد أن هذه صورة مشطورة.. لقد فقدنا نصف البيت.. هذا طبعا بالإضافة إلى زحاف الخبن الموجود في التفعيله الأولى في البيت، وفي تفعيله الضرب.

وبهذا نكون قد انتهينا من بحر المديد، وليس أمامنا إلا الانتقال إلى ألعابنا المعتادة.

اللعبه الأولى:

أكمل ما يلي وفقا لما فهمت:

- بحر المديد يتكون من تكرار.....
- تصيب علة القصر بحر المديد، وهي.....
- من العلل التي تصيب بحر المديد علة البتر، وهي.....
- ..... وعلة الحذف، وهي.....
- يأتي بحر المديد على الصورة.....، ويأتي أيضا على الصورة.....
- زحاف الخبن يصيب تفعيلة فاعلاتن فيحولها إلى..... ويصيب فاعلن فتتحول إلى.....

#### اللعبة الثانية:

اختر الكلمة المناسبة إيقاعياً لتكمل بها البيت:

بات يدعو الواحد الصمدا      في ..... الليل منفردا  
- وسط - ظلام - منتصف - ساعات

#### اللعبة الثالثة:

البيت التالي على بحر المديد، ولكنني سأتعمد الآن أن أخطئ في كتابته..  
حاول أن تصل إلى موضع الخطأ..  
خادم لم تُبقِ خدمته      منه رُوحاً ولا جسداً

### اللعبة الرابعة:

احفظ الأبيات التالية، وحاول أن تغنيها مع إيقاع بحر المديد الذي ستعزفه على طاولتك..

أنا يا عصفورة الشجن مثل عينك بلا وطن  
بي كما بالطفل تسرقه أول الليل يد الوسن  
واغتراب بي وبي فرح كارتحال البحر بالسفن  
أنا لا أرض ولا سكن أنا عينك هما سكني  
راجع من صوب أغنية يا زماناً ضاع في الزمن  
صوتها يبكي فأحمله بين زهر الصمت والوهن  
من حدود الأمس يا حلمًا زارني طيرًا على غصن  
أي وهم أنت عشتُ به كنت في البال ولم تكن<sup>٣٠</sup>

٣٠ الأبيات لعللي بدرالدين ، وغنتها السيدة فيروز.